فانتازية الواقع في رواية " قطط العام الفائت "للكاتب " إبراهيم عبد المجيد"

Fantasea, in "last year's Cat" novel by Ibrahim Abdel Majid

اعداد

مروة عمر عبد العزيز

باحثة مصرية

Doi: 10.12816/mdad.2020.105853

الاستلام: ٢٠٢٠/٦/٢٢ القبول : ٢٠٢٠/٧/١٥

المستخلص :

ينهض هذا البحث بإلقاء الضوء على رواية " قطط العام الفائت "والتي تدور أحداثها في عالم خرافي رمزي ، تقدم أحداث ٢٥ يناير في قالب فانتازي بدءاً من شخصيات الرواية والتي تتمتع بقدرات خارقة متمثلة في الحاكم الذي يملك القدرة على ارسال أي شخصية إلى أزمنة بعيدة ومديره الذي تخرج الثعابين من أصابعه وعلى الجانب الآخر تظهر شخصية "هديل" شبيهة الفنانة "سعاد حسني " والتي تقوم بتحويل الشباب إلى قطط لمواجهة خرافة الحاكم ، ومن هنا يضعنا المؤلف أمام عالمين متوازيين عالم خرافي فانتازي شباب تتحول إلى قطط وظهور أشياء خارجة عن الواقع، وعالم افتراضي لا يقل عنه غرابة .

الكلمات المفتاحية: الواقع- الفانتازيا- رواية- إبراهيم عبد المجيد.

Abstract:

This research rises by shedding light on the novel (qitat al eam al fayit), which revolves in a fictional, symbolic fantasy world that introduces the events of janury 25 in a fantasy template starting from the characters of the novel and which has supernatural abilities represented by the ruler who has the ability to send anyone to distant times and his counterpart who graduated snakes from his fingers on the other side apper Hadel similar to the artist " Souad Hosni, who transforms young people into cats to confront the ruler's myth and from here the author puts us in front

of two parallel worlds a fictional world, a youth fantasy that transforms into cats and the emergence of things out of the ordinary and a virtual world no less strange.

تقدم رواية " قطط العام الفائت " للكاتب " إبراهيم عبد المجيد " تعد عالمًا حكائيًا يمازج فيه الروائي بين الواقع والمتخيل ؛ لتقديم رؤيته عن الواقع المصري المعاصر.

تدور أحداث الرواية حول مجموعة من الشباب قامت بثورة ضد حاكم بلاد لاوند الحاكم " أمير باشا أبو العساكر" الذي يتمتع بقدرات خارقة ، حيث يستطيع إلقاء أي شخص إلى الماضي "**سألقي بكل من في الميدان إلى العام السابق** ".[١] وبالفعل يقوم بإلقاء الشباب إلى العام الماضي.ويتنامى السرد وتظهر شخصية هديل شبيهة "سعاد حسني" بقدراتها الخارقة التي تُقبل الشباب ليعودوا للحياة ، ثم تقوم بتحويلهم إلى قطط لمواجهة الحاكم وسلطته٠وهذا هوالشكل الفانتازي العجيب / الرمزي ، الذي اتخذه الروائي لعالمه المتخيل لطرح أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١م ، ويركز السرد على فترة وقوع الأحداث وتباين وجهات النظر أتجاه الحدث إلى أن تنتهى الرواية بالدعوة للتظاهر مرة أخرى ٠

وعند تأملنا لأحداث الرواية نجد الروائي يطرح عالمه المتخيل بصورة فانتازية والتي " ينحو بها نحو عالم مغلوط في شكله ولكن نعرفه بل ونعيشه ونؤمن به والذي يفيض بمواقف وأفكار خاضعة لدرجة من الوعي والإدراك ربما التوهم فيها هو جزء واضح من الحقيقة"[٢] وقد يحمل هذا دلالة خاصة إذ لم يكن في روايات المؤلف السابقة ما ينم عن ميل إلى هذا النوع من الكتابة، التي تلجأ للهروب من التشابه مع الواقع، فقد نوهه الروائي من أول وهلة بعد عتبة الإهداء مباشرةً ، بأن أحداث الرواية جرت في بلد تُدعى لاوند " **في بلد يسمى "لاوند" قامت ثورة في اليوم نفسه التي حدثت فيه الثورة في " مصرايم " .. هنا ما جرى في "لاوند" ،وأي تشابه مع الواقع غير مقصود ٠** "[٣]

مما يثير التساؤلات لماذ اختار الروائي هذا الأسلوب؟ وهل هذا العالم الخرافي غريب عن العالم الافتراضي (الفيس بوك ـ تويتر) الذي تعيشه شخصيات الحكي؟ ـ و نعيشه في واقعنا ـ ولماذا صدَّر متخيله بهذا المناص الإعلاني ؟

وفي ذلك يذهب الناقد " سعيد يقطين" إلى أن "هذا المناص الإعلاني يوجه القارئ إلى البعد التخييلي للوقائع المقدمة في الرواية فكل ما تتضمنه الرواية لا يعكس الواقع ، بل مشابهة بين الرواية والواقع ، والروائي يريد أن يقول لنا إنه لا يرمي إلى تقديم الواقع أو تمثيله ٠ويبدو ذلك في كونه يوجه مبدأ "المشابهة " بين الرواية والواقع ، ففي هذه المشابهة إيهام بـ "واقعية " الرواية التي تقدم ليس الواقع ، ولكن المحتمل٠"[٤] ، فمحاولة

الروائي بالبعد عن الواقع بداية من هذا المناص الإعلاني واختياره لعالم فانتازي غريب عن واقعنا يقود إليه قارئه، محاولة تبدو صعبة التحقق ، فهناك جزء من الواقع ليس بوسعنا انكاره، لكنه ليس انعكاس آلي له. وفي ذلك تشير دكتورة " نبيلة إبراهيم " إلى أن " السبب الذي يجعل الكاتب يسعى إلى زحزحة نفسه بعيدًا عن الواقع ، وأن ينفى أو يلغى كل تأكيد يلوح له ، هو أن الوعي كلما حاول أن يصل إلى فهم للحياة ، اتضح له أنه قد يفسد ما يقوله إذا قيل .ومعنى هذا أن صدق الوعي أصبح مرادفًا لعدم القدرة على الإمساك بالواقع كله .وبهذا يتأرجح الكاتب بين المحدود واللامحدود"[٥] ولايمكننا إلا أن نقول بأن هذا العمل في مجمله يرجع تشكيله لرؤية الأديب لواقعه فالعمل الفني " ينتهى بخلق صورة جديدة للواقع ، يمثل هذا الواقع كما فهمه الإنسان واخضعه لسيطرته "[٦]

ويضعنا الروائي في عالم خرافي بدءاً من أسماء الحاكم ومعاونيه (مز ـ مم ـ السر عسكر ـ...) في حين تأتي أسماء الشباب مألوفة على سبيل المثال (نزار شيماء ـ شهيرة ـ أحمد ـ مصطفى) فتقدم لنا الرواية عالمين متوازيين، عالم الحاكم الرمزي والذي يعيش فيه الحاكم ومعاونيه وعالم الشباب الواقعي ولكنه افتراضي ـ الفيس بوك وتوتير ـ والذي يمثل لهم الواقع الحقيقي بعيدًا عن فانتازية عالم الحاكم الذي يحاول فرضه عليهم.

وبتسليط الضوء أكثرعلى الرواية تقف الدراسة على بعض العناصر السردية التي شكلت المتخيل السردي للرواية وأولها تقنية الراوي ، حيث لا يمكن تصور بناء عمل سردي بدون راوٍ أو رواة ينقلون الوقائع ، ويقومون بسرد الأحداث .

تقنية الراوي :-

وبالوقوف على تقنية الراوي داخل الحكي نجد الروائي اختار لعالمه المتخيل أن يكون راويه الراوي العليم ويعد هذا النوع من الرواة اقدمها ظهورًا في عالم الرواية وهو " راوٍ يعرف كل شيء عن المواقف والأحداث المروية إن هذا النوع من الرواة يمتلك وجهة نظر عليمة ويتكلم أكثر مما تتكلم إحدى الشخصيات وكل الشخصيات ."[٧] يحكي الراوي بوصفه شخصاً خارج نطاق الحكي ، مما يتيح له التواجد في أكثرمن زمان ومكان ، حيث يتخذ موقعاً يعلو فوق مستوى الشخصيات، فيعرف ما تعرفه وما لا تعرفه .

ويقوم الراوي بسرد الأحداث وهذه الوظيفة الأساسية التي يتحدد بها دوره فلا وجود لراوٍ بدون سرد، ويسرد متخيله من خلال تعمقه داخل شخصياته ، فيعرف خباياها ، وينقل لنا أكثر من شخصية من خلال تفكيرها الداخلي ومشاعرها، فهو يعلم ما يدور بنفس الحاكم وما لا ينطق به موجهاً سرده إلى المروي له من خلال ضمير الغائب " **قال في نفسه مصيبة لوخرجت منها حيوانات تجرى أمامه**"[٨] إضافة إلى سرد الراوي أقام صلة مع المروي له بتوجيه الخطاب له.وفي حين سخريته من شخصية الحاكم التي قدمها بصورة خرافية عجيبة ، ينقل الراوي ما يدور بداخل شخصية " نزار " أحد شباب الثورة ، فيتعمق داخل الشخصية من حيث تفكيرها والمشاعر الداخلية التي تشعر بها

معلقاً عليها، قائلاً " **أحس بالارتباك وشيء من الخوف . كم كان أحمق في مغامراته**"[٩] ، فيستنكر الراوي فعل الشخصية والتي قررت التخفي والهروب إلى الجبل وعدم مواجهة الحاكم .

ولم يكتف الراوي بوصف مشاعر الشخصية ، بل قام بالتعليق عليها ووصف تصرفها ساخراً منها، وفي مواضع أخرى يمتزج صوته بصوت الشخصية ، فيصعب على المتلقى أن يميز إن كان الصوت للشخصية أم للراوي العارف المهيمن على السرد " **الزمن لا يمر بين الجبال٠ لكنها تجربة جديدة يا نزارقد تكتبها يوماً٠ ما الذي يمنع ؟** "[١٠] يلتبس علينا الأمر من كثرة تداخلات الراوي ، فلا نعلم أن كان هذا مونولج للشخصية أم أنه صوت الراوي الذي كسر الحاجز بينه وبين الشخصية ليقترب منها مبررًا تصرفها وكأنها ماثلة أمامه يحاورها وفي الحالتين تظهر هيمنة الراوي العليم سواءً بنقله لمونولوج الشخصية أو بانعدام المسافة بينه وبين الشخصية .

ويرتبط السرد في صورته الفانتازية بالحكي عن شخصية الحاكم الخرافية "**بدأت أصابعه تعود شيئاً فشيئاً وتنكمش من جديد .أحس بألم شديد في أطرافه .رآها تنتفخ ويزداد الألم . في اللحظة التي كاد فيها يصرخ ، انفجرت أصابعه وقفزت منها طيور بيضاء نزلت إلى الأرض تلتقط الحبوب التي ملأت الصالة الواسعة التي يقف فيها في قصره ...** "[١١] ويسرد أيضًا عن شخصية " هديل" والتي تتمتع بقدرات خارقة " **فردت ذراعيها فظهرت على جانبيها أجنحة بيضاء٠٠٠ وقفزت في الغرفة فإذا بالسقف ينفتح وتخرج منه إلى الفضاء**"[١٢]

ومن خلال تتبعنا لمواضع السرد الذي يقترب من الشخصيات الفانتازية نجد الراوي يقوم بالشرح والتفسير ويبدو أن الراوي لجأ إلى ذلك ليزيد من مصداقية وجود هذه الشخصيات لدى القارئ وليؤكد له أن ما يحدث ليس بغريب فكثيراً ما نجد الأمورغير المألوفة تحتاج إلى مزيد من التفسير لتوضيحها حتى يتم تصديقها ٠

وعلى الرغم من هيمنة الراوي العليم على سرد الأحداث إلا أنه سمح بظهور أصوات أخرى من خلال الحوار؛ وذلك تبعاً لتعدد شخصيات الرواية وتنوعها مما أدى إلى مسرحة الحدث وكأنها كائنات حية تتحرك على خشبة المسرح٠كما أتاح الراوي الفرصة لظهور أصوات مجموعة من الشخصيات تناوبت في سرد المحكي بصوتها ، في صورة منشورات وتعليقات على مواقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك ـ توتير) فتقوم شخصية الدكتور"محمود محمد محمود" بسرد ما حدث لها من خطف من قبل قطاع الطرق " **وعلى صفحة الدكتور محمودمحمد محمود الذي كتب:" ليس لي علاقة بالسياسة من قريب أو من بعيد ٠٠٠خطفني قطاع الطرق٠٠٠**"[١٣] ، وتسرد الشخصية عما تعرضت له في الجبل من قبل قطاع الطرق ، وإن كانت هذه الأحداث

سردها الراوي سابقًا إلا أنه سمح للشخصية أن تفصح وتسرد عن نفسها تأكيدًا لوقوع الحدث.

أما عن تنسيق الراوي للسرد والمتمثلة في الوظيفة التنسيقة والتي يقوم بها الراوي في تنظيم حكيه فيبدأ سرد أحداثه بدءًا من يوم ٢٩ يناير عقب أحداث يوم ٢٨يناير ـ جمعة الغضب ـ والذي يمثل لحظة بدء السرد ، أي بعد وقوع أحداث يوم ٢٥ يناير، ثم يتخذ السرد صعودا فعلى لسان الحاكم يقول **" جميل نحن الآن في التاسع والعشرين من يناير. لم أُلق أحدًا منذ بدء العام**"(١٤) .

ومن العرض السابق يبدو أن دور الراوي لا يقتصر على سرد الحدث ، بل يقوم بالوصف والشرح والتفسير وإقامة صلة مع المروي له، وإصدار التعليقات ، محققاً بذلك وظائف الراوي .

الفضاء الروائي :-

يضع الكاتب "إبراهيم عبد المجيد" قارئه في عالم غريب بدءاً من العتبة الأولى للنص وهى عتبة العنوان "قطط العام الفائت " بالنظر إلى عتبة العنوان نجدها تتكون من دالين ، الدال الأول (قطط) والدال الثاني (العام الفائت)موازياً له فضاء نصي أخر متمثلاً في لوحة الغلاف (شكل قط) وهذا التشكيل "يشير بشكل مباشر إلى أحداث القصة أو على الأقل إلى مشهد مجسد من الأحداث ويبدو أن حضور هذه الرسوم الواقعية تقوم بوظيفة اذكاء اقبال القارئ، لكى يتمثل بعض وقائع القصة وكأنها تجرى أمامه "(١٥)

وإذا كان هذا ما يوحى به الفضاء النصي وما يقوم به ، فما الذي اراد الروائي أن يقدمه لقارئه ، لماذا اختار الروائي هذه التسمية؟ وهل هناك انسجام بين هذا الفضاء النصي والخطاب الداخلي؟ وهل للفضاء النصي دوراً في تشكيل الفضاء المكاني و ما مدى ارتباطه به ؟

بمقاربة عنوان الرواية نجد الدال الأول (قطط) اسم جمع لحيوان أليف يُعرف في موروثنا الشعبي " بسبعة أرواح" ، والدال الثاني (العام الفائت) دال زمني يدل على الماضي، ومازال الابهام موجوداً فينصرف ذهن القارئ إلى أن الحكي قد يكون على لسان الحيوان ،ولكن عند الولوج إلى عالم السرد نجد أن (القطط) هم الثوار وقد قامت إحدى شخصيات الرواية بقدراتها الخارقة (هديل) شبيهة (الفنانة سعاد حسني) بتحويلهم إلى قطط في معركتهم مع الحاكم الذي استطاع بقدراته الخارقة أيضاً أن يلقي الشباب إلى العام الفائت وبذلك يرتبط الدال الأول بجزء من أحداث الرواية مضافًا إليه الدال الثاني والذي يمثل الجزء الأخر من الأحداث لينسجم الفضاء النصي مع الخطاب الداخلي للرواية.

يبدو أن هذا الفضاء النصي الغريب شكلته خرافتان شكلت الأحداث ، فتظل القطط/ الشباب والتي لا تمل وكما أشارنا " بسبعة ارواح" تتصارع مع خرافة العام الفائت

والذي يوحى بعدم الفائدة لمضي الزمن .ويظهر مدى ارتباط الفضاء النصي بحركة السرد وتشكيل الفضاء المكاني، فتنتقل القطط/ الشباب في أكثر من مكان لمواجهة خرافة العام الفائت. "**المعركة تشتد مع النظام ولا يجب أن يكون لهم مكان ثابت**"(١٦)

ومن هنا يبدو أن المكان وسيلة للشخصيات في صراعها مع الزمن ، ومع ذلك لم يكن مجرد أطارًا للحدث ، بل اتخذ شكلاً خرافياً ، حيث تدور أحداث المتخيل السردي في فضاء خرافي أشار الروائي في بداية الرواية إليه " **في بلد يسمى "لاوند" قامت ثورة في اليوم نفسه التي حدثت فيه الثورة في " مصرايم" ٠٠٠** "(١٧)

وهذا الفضاء يعد تخييلي" يصعب الذهاب إلى تأكيد مرجعية محددة لها سواء من حيث اسمها الذي به تتميز أوصفتها التي تنعت بها ٠٠٠ وحين يلجأ الراوي إلى اختلاقها ، فإن ذلك ، عادة ما يكون، استجابة لضرورة حكائية معينة ، فيختلق الفضاء لتجرى فيه أحداث موازية ، لأحداث أو أفعال أساسية تجرى في فضاء مرجعي ."(١٨)

وبالفعل قدم الروائي ـ كما أشارنا أثناء حديثنا ـ عالم مواز لواقعنا ، لكنه ليس الواقع بل هو المحتمل .وإن كان ما يجرى في الفضاء الروائي لا يبعد عن عالمنا الواقعي .

كما أن هناك ثمة تحولات في الخطاب الروائي عبر السرد تقرب لنا الفضاء المكاني للواقع، فيحوي الفضاء العام (لاوند) مجموعة من الأمكنة التي تتواجد فيها الشخصيات (أبيدوس ـ فاروس ـ طانطوة)، فتقول شخصية نورهان: " **في أبيدوس أيضاً الولاد كانوا واقفين أمام مبنى المحافظة البوليس وصل ، مبنى المحافظة امتلأ بالقطط**"(١٩) ، وهو المكان نفسه الذي يذهب إليه نزار للتخفى ، وهو اسم فرعوني لمدينة قديمة، توجد حالياً بالقرب من مدينة "سوهاج" . ويقول نزار: " **المحافظة الرابعة فاروس تأخر الشباب في الخروج إلى البحر للاحتجاج . كانت أخبار القطط ملأت الدنيا**"(٢٠) وهى مدينة توجد حالياً في مدينة " الاسكندرية" أي فضاءات مرجعية يمكننا الرجوع إليها.ولكن استخدم الروائي حيلته في تغيير أسماء المدن حتى تنسجم مع الفضاء العام " لاوند" ومع ذلك جاءت إشارات بأصوات الشخصيات ـ الشباب ـ لتتحول(لاوند) الفضاء التخييلي إلى (مصر) الفضاء المرجعي" **قال أحمد مندهشاً : لقد تغير التاريخ في مصر٠٠٠**"(٢١) **وفي موضع أخر بصوت الشخصية نفسها "واضح إن القطط ستكثر جدَا في مصر.** "(٢٢) وعلى لسان شخصية نزار" **آخر النهار ظهرت الصحف المسائية في أوربا بعنوان واحد" معجزات تحدث في مصر .. الشباب يتحولون إلى قطط في الميادين والشوارع".. "**(٢٣)

فإذا كان الروائي صدَّر متخيله بهذا التنويه للفضاء التخييلي ؛ ليدخلنا في عالمه الفانتازي فهو لا يزيد الشك إلايقيناً بواقعية الفضاء واتصاله بالواقع ، والذي برزته تحولات الفضاء عبر السرد من فضاء تخييلي لا يمكن الرجوع إليه إلى فضاء مرجعي

يمكننا تحديده وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شعورنا بالاغتراب عن عالمنا الذي نعيشه، حيث إن " الفانتازيا في الرواية الجديدة لاتحكي العالم وأنما تناوشه وتغربه وتختزله ، وتدمر التصورات الذاتية عن العلائق والأشياء والبشر ، لتفتح عوالم بديلة يتجاور فيها الخيال والعقل والواقع ، إن صح أن هناك واقعاً خارج ذواتنا وعقولنا ووجداننا."(٢٤)

ويبدو أن هذا الشكل الذي اتخذه الفضاء و الذي يلتبس فيه الواقع بالخيال ؛جاء سعياً للهروب لعالم الخيال؛ لتحقيق ما لم يمكن تحقيقه في الواقع.

أما بالنسبة لعنصر الزمن فتمزج الرواية بين زمنين أحدهما خرافي ماضٍ والأخر واقعي حقيقي حاضر فيبدأ السرد انطلاقاً من يوم ٢٩ يناير ،على لسان الحاكم " **جميل .نحن الآن في التاسع والعشرين من يناير** "(٢٥) ومن هنا ينطلق السرد صعودًا ثم يأتي الزمن الخرافي وهو عودة الزمن إلى الماضي بقدرة الحاكم الخارقة ، وبمعاونة مساعديه يصدر القرار بعودة الزمن عام للماضي ،فيقول **" مز" "سنصدر قراراً بأن تاريخ اليوم هو الثالث من فبراير عام ٢٠١٠** "(٢٦). فيصبح الشباب في عام غير العام ولكنها خرافة مصطنعة ،فيقول أحد الشباب " **ما هذا ؟ التاريخ ٣٠ يناير ٢٠١٠** "(٢٧) . ولم يعد الزمن له قيمة بل يتخذ الحدث النصيب الأكبر، فيصرح الراوي بأن الزمن الواقعي للأحداث هو ٢٠١١م " **عليهم في كل الأحوال التمهيد لثورة أخرى وإن كان هذا العام ٢٠١٠كما قررت السلطة العبيطة أو ٢٠١١ كما هى الحقيقة** "(٢٨)

لتعلن شخصية "السرعسكر" في نهاية الرواية أن العام هو(٢٠١٢م) وليس (٢٠١١ م)" **لم نكن في عام ٢٠١٠ بل كنا في عام ٢٠١١ وبدأنا منذ أسابيع عام ٢٠١٢** "(٢٩)

وهنا يتوافق الفضاء النصي المتمثل في عتبة العنوان " قطط العام الفائت "مع مضمون الرواية ، فالعام الفائت المقصود به عام(٢٠١١م) والذي دارت فيه الأحداث ، فيصبح ما جرى من أحداث فانتازية في زمن خرافي والذي ألقى فيه الحاكم الثوار عامًا للوراء ، كان واقعًا .

هيمنة النسق الإعلامي :-

عند تأملنا لأحداث الخامس والعشرين من يناير والتي دارت حولها أحداث الرواية نجد أن تكنولوجيا الاتصالات قد لعبت دورًا مهمًا في الدعوة إلى التظاهر على وجه الخصوص الشبكة العنكبوتية والتي يأتي دورها من خلال الموقع الاجتماعي (فيس بوك) الذي استغله النشطاء السياسيون والشباب للتواصل مع بعضهم البعض والدعوة إلى مظاهرة في الخامس والعشرين من يناير. ولأن هذا العالم الافتراضي أصبح جزءًا من حياتنا ولا نبالغ أن قلنا إنه الحياة نفسها ، فتأخذنا الرواية إلى هذا العالم الافتراضي والذي شكل جزءًا كبيرًا من فضائها ، فجاءت الرواية في صورة أكثر تأثيرًا بما يحمله الواقع من ثقافة لترسم لوحة فنية أدبية عما يهيمن على واقعنا.فقد غدت التكنولوجيا هى

Doi: 10.12816/mdad.2020.105853

أداة الجيل التي يخوض بها معركته من خلال نشر الأفكار والمعلومات وسيطرة الخبر وانتشاره ، لقد أصبحنا في عصر العولمة ومع ظهور الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات وتأثرًا بذلك انتشر" في الدراسات الاجنبية مصطلح الأدب الرقمي أوالأدب الإلكتروني النص الذي احتل مكانا على صفحة الإنترنت ، فحسب كاندل فقد تغيرت تقنية الكتابة في عصر وسائل الإعلام الإلكتروني والأدب تغير معها "[٣٠] وكان تبعًا لذلك ظهور ما عُرف بالرواية الرقمية التي توظف مؤثرات عالم الإنترنت من صورة و صوت وحركة ولون في بنائها ، ولكننا في دراستنا هذه نحاول الوقوف على هيمنة عالم الإنترنت على بنية الرواية الورقية التي بين إيدينا والتي افادت من تطورات العصر متأثرة بعالم الإنترنت.

لا تعد رواية " قطط العام الفائت " للكاتب إبراهيم عبد المجيد العمل الأول الذي تأثر فيه بتكنولوجيا المعلومات وتقنيات شبكة الإنترنت فكتب سابقا رواية " في كل أسبوع يوم جمعة " ، و بتسليط الضوء على " قطط العام الفائت " نجد أن عالمه المتخيل قائمًا على هذا العالم الافتراضي ـ الفيس بوك ، تويتر ـ شكلاً ومضمونًا والذي لا يقل خرافة عن الفانتازيا التي اتسمت بها الرواية .

فمن خلال وسائل التواصل الاجتماعي يتعرف الشباب على بعضهم البعض ويجمعهم صفحة " كلنا فاضل سعيد " والتي يوازيها واقعيًا صفحة " كلنا خالد سعيد " ، ويلجأ الشباب للحرب الإلكترونية لمواجهة الحاكم ، ويعادل هذا العالم الافتراضي والذي يخص الشباب العالم الخرافي الذي تلجأ إليه شخصيات النظام وعندما يعجز النظام عن مواجهة الشباب لم يعد أمامه غير أن يتسلح بأسلحة الخصم في خوض المعركة معه فلم تعد أدواته قادرة على المواجهة فبينما يتابعون الفضائيات ينقر الشباب على (تويتر- الفيس بوك)؛ ولسيطرة الأخير يلجأ إليها النظام بعد أن كان يستنكرها فلم يجد أمامه سوى الحرب الإلكترونية لمواجهة الشباب بعد أن فشل في الخرافة **" لقد لجأ النظام إلى الحرب الإلكترونية هو الذي كان يعتبر ذلك لعب عيال** "[٣١]

ويبدو دور هذه الوسائل الفعال وما تقوم به فاستطاعت أن تقوم بما لم تقم به الأحزاب القديمة والتي كان لا يتجاوز عدد الأعضاء فيها عن خمسة أو عشرة أعضاء ، فيتجمع الشباب عبر الإنترنت ليصبح حزبهم الحقيقي فلا حاجة لهم بالأحزاب السرية ، فالآن لديهم الصفحات التي تجمعهم وتُعدّ مفتاح التعاون بينهم .

ويتابع الشباب الأخبار من خلال هذا العالم الافتراضي والذي يحيل إلى الواقع ، فعلى الرغم من أن الروائي اختار لمتخيله "الاوند " مكانًا للأحداث إلا أنه يحيلنا إلى الواقع مشيرًا إلى مصر فيقول نزار: " **لم أغادر مكتبي .لم أفتح ملف أي قضية لأقراها . كانت**

الأخبار تأتيني كل دقيقة على الفيس بوك ... " معجزات تحدث في مصر .. الشباب يتحولون إلى قطط في الميادين والشوارع "(٣٢)

ومقاربة بهذه الوسيلة يأتي المذياع والتلفاز لتزييف الواقع **" قبل أن ينتصف الليل كان الناس جميعا في بيوتهم.لقد أعلنت الإذاعات والقنوات المرئية عن الخوف من خروج الفئران"**(٣٣)

ويقتصر دورهما على نشر الخرافة والعمل على تصديقها ؛ لذلك يندمج الشباب في عالمهم الافتراضي الذي يعيشون فيه ويمتلكهم أكثر من وجودهم في الحياة الواقعية ، فلم يستطع نزار العيش بدونه فانعزاله عن هذا العالم الافتراضي يجعله تحت سلطة زعيم الجبل وليس لديه ما يقوم به لانقاذ نفسه .وكذلك ينعزل الجندي محمد الذي يقضى فترة تجنيده بعيدا في الصحراء بدون مذياع ولا تلفاز ولا صحف أو هاتف ، وعندما تحرك الشباب يوم ٢٥ يناير لم يعلم شيئًا . وكأنه في عالم غير العالم ودنيا غير الدنيا .

ويعتمد الشباب على الفيسبوك لانفاذ مهمتهم فيقول : أحمد خشبة **" مهمتنا الآن هى التركيزعلى الفيس بوك أكثرمن أي وقت مضى "**(٣٤) ، وعبر هذا العالم يركز الشباب على الدعوة للتظاهر من جديد **" امتلأت صفحات الفيس بوك بالدعوة إلى الثورة من جديد وامتلأت صفحات تويتر"**(٣٥) ويستغرق الشباب في عالمهم والذي مثل لهم الواقع بعيدًا عن خرافة واقعهم والتي صنعها النظام وإعلامه **" لايعرفون كيف مضت الليلة وكل متوحد مع جهاز اللاب توب أو التابلت أو الموبايل "**(٣٦) فيعتمد الشباب على عالمهم الافتراضي في مواجهة الحاكم ومواصلة ثورتهم .

وتخضع الست كريمة والدة نزار لهذا العالم الافتراضي ، وهى التي تنتمى إلى الجيل الماضي فبعد أن كانت تستنكر دور هذه الوسيلة في صناعة الثورة وإن كانت تؤمن بمطالب الشباب، وبثورتهم إلا أنها لا تقتنع بهذا العالم الافتراضي **" هل تثقون إلى هذا الحد في الفيس بوك وتويتر .أنا لا أصدق أنهما سبب الثورة .كيف تأتي الثورة من فضاء افتراضي"**(٣٧) . ولأن هذا العالم هو مشعل الثورات فكل من يؤمن بالثورة ينساق إلى هذا العالم فتتفاعل الست كريمة مع الشباب ويصبح لديها صفحة **"اعملولي صفحة وعلموني"**(٣٨) ويعلق الراوي مؤكدًا بأن هذا العالم هو عالم الثورة **" ستدخل عالم الثورة الذي غاب عنها دائما"**(٣٩) وتستعجب الشخصية من هذا التطور الذي سمعت عنه من قبل ولم تمارسه وكيف وصل الاختلاف إلى هذا الحد، وانتهاء فكرة الأحزاب السرية التي لم تعد تفلح مع هذا الجيل المسحور بقوة الإنترنت ، وعلى الرغم من رفض الشخصية للعالم الافتراضي إلا أنها تخضع له . فوجود الست كريمة وسط الشباب واهتمامهم بهذا العالم خلق لديها الرغبة في معرفته والدخول إليه وكشف أسراره ولكنها تجد نفسها كغيرها تحت سيطرته وتزداد لديها الرغبة أكثر في معرفة المزيد ويشيرالدكتور" صلاح فضل " عن دور الوسائل الحديثة وسلطتها "بأنها تقوم بدور

Doi: 10.12816/mdad.2020.105853

المرآة المحدبة أو المقعرة، فتقدم محلولا ثقافيا مخففا يتجرعه المتلقى كل يوم "[٤٠] . فعلى الرغم من رفض الشخصية وعدم اعترافها بهذا الفضاء إلا أنها تخضع تحت سيطرته وتمارسه لقوة النسق وهيمنته التي تتعدى مفهوم الأيديولوجيا وقناعته بعدم فائدته .

وبتسليط الضوء أكثر نلاحظ أن الفضاء النصي للرواية شكلته (المنشورات والتعلقات والهاشتاج) على صفحات التواصل الاجتماعي والذي كان له دورًا في نمو الحدث ، ولعل أكثرها حضورًا (الهاشتاج) فيقابل الشباب به الخرافة والفانتازيا التي ينشرها أعضاء النظام ،ويأتي الهاشتاج بعد كل حدث يقترب للواقع ودون المساس بما يحمله الواقع يأتي رد فعل الشباب بتفعيل (الهاشتاج) على سبيل المثال **"# النصيحة – والهدى – عايزين- ينونوا** "[٤١] ويستغرق اربع صفحات دون تدخل من الراوي أو ذكر اسماء أوتحديد هوية وبعد انفجار الكنيسة تشتعل المواقع بهاشتاج **" # الثورة- جاية - جاية** "[٤٢] ،وتتوالى التعليقات لظاهرة كينج كونج وظهوره في الميدان الكبير وتستغرق قرابة الاربع صفحات من (ص١٧٦: ١٨٠) ويعلق الراوي على هذه الظاهرة **" حقًا يخرج كينج كونج من الفيلم ليكون واقعًا تمامًا كما تخرج الاحتجاجات من الإنترنت** "[٤٣] ،فهذا الشيء الغريب العملاق لم يعدغريبًا فكيف نستنكر وجوده في زماننا ولا نستغرب أن تخرج احتجاجات من الإنترنت والتي صارت واقعًا .

لقد استطاع الروائي أن يحاكي العالم الافتراضي في الشكل والمضمون فجاءت الكتابة في صورة مطابقة لما ينتشرعلى مواقع التواصل الاجتماعي وكذلك اللغة لم تبعد عن اللغة المتداولة عبر الإنترنت ، بالإضافة إلى ذلك لم يفصل الروائي بين الفصول أو يحددها بعناوين وذلك" يعود لسيولة الواقع ذاته ،وضياع المعالم بينه وبين الافتراضي ، أو لتحول هذه العوالم المصنوعة إلى واقع بالفعل"[٤٤]

وينهى الروائي متخيله من حيث بدأ الشباب - ثورتهم - عبر وسائل التواصل الاجتماعي و التي شكلت جزءا من ثقافتنا وفرضت نفسها على الواقع فتنتهى الرواية بالدعوة للتظاهر عبر هاشتاج**" # خرافة - أم حقيقة - أنزل** "[٤٥]

ولعلنا نتساءل عن هذا الشكل الغريب الذي لم نعهده في كتابات " إبراهيم عبد المجيد " وتأتي الاجابة بلسان الروائي موضحًا ومفسرًا هذا الشكل الذي قدم به متخيله فيتنحى الراوي ويعلن الروائي عن حضوره قائلا :**" سهر الشباب حتى الصباح على الإنترنت في " حفلة " رهيبة على الدولة والقطط! والآن بعد أربع سنوات وأنا أكتب هذه الرواية استطعت الرجوع إلى تعليقاتهم وأخذت بعضها هنا . سألت فتاة منهم هل يمكن لي أن أستخدم تعليقها في روايتي .اندهشت جدا . ذلك أمر قديم ووقتها نقلته فضائيات عربية وأجنبية في متابعتها لما يجري في البلاد . سألتني هل تستخدم شيئًا قديمًا سبق**

استخدامه ؟ ثم قالت : لا أظن أنه مفيد . سألت شابًا آخر فقال تقريبًا نفس الكلام . بدا لي كلاهما حريصًا على أن لا أقول شيئًا معادًا . لكني رغم ذلك أستخدم تعليقاتهم الآن . وسأستخدم تعليقاتهم وتعليقات غيرهم فيما بعد.ولأني لم أحصل على موافقة أحد قمت بإهمال الصورة والاسم ، وإذا أعطاني الله العمر والصحة وأنهيت الرواية ثم نشرتها ، فإنني أحتفظ لهما بحقوق الملكية الفكرية لتعليقاتهما ، وأعد الجميع أن أعطى كل من يقابلني منهم نسخة من الرواية "(٤٦)

فمن خلال المقطع السابق والذي تدخل الكاتب مباشرة يقدم رؤيته والتي جاءت في متخيله ردًا على من يستهين أو يقلل من شأن مواقع التواصل الاجتماعي ودورها الفعال في صناعة الثورة - كما تأتي عالمًا موازيًا لعالم الحاكم الفانتازي الخرافي الرافض للتغير والتقدم . ويتضامن الكاتب مع الشباب وعالمهم الذي صنع معجزة ليست بالقليل ، ويوضح بأن هذه التعليقات موجودة ومعروفة وليست بها جديد لذلك فضل أن يجمعها في روايته ويحتفظ بها حتى لا تشوبها التزييف .

فشكّل الروائي متخيله تبعًا لما يناسبه من واقعه ولم ينقل الواقع كما جرى بل لجأ للفانتازيا في تشييد عالمه الروائي ومزج بين الواقع والمتخيل ٠

الهوامش :

(١)إبراهيم عبدالمجيد : قطط العام الفائت ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ ط٣ ـ ٢٠١٧ـ ص٢٢

(٢) شوقي بدر يوسف : الرواية والراوئيون ـ مؤسسة حورس الدولية ـ القاهرة ـ ط١ ـ ص٧٦

(٣) إبراهيم عبدالمجيد : السابق ـ ص٦

(٤) سعيد يقطين : قضايا الرواية العربية الجديدة (الوجود والحدود) ـ رؤية ـ القاهرة ـ ٢٠١٠م ـ ص١٣٥:١٣٨

(٥) نبيلة إبراهيم : فن القص في النظرية والتطبيق ـ مكتبةغريب ـ القاهرة١٩٩٤م ـ ص١٧٨

(٦) إرنست فيشر : ضرورةالفن ـ ترجمة :أسعد حليم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٩٨م ـ ص١٦

(٧)جيرالد برنس: قاموس السردياتـ ترجمة : السيد أمام ـ ميريتـ القاهرة ـ ط١ ـ ٢٠٠٣م ـ ص١٣٩

(٨)إبراهيم عبد المجيد: السابق ـ ص٧

(٩) السابق : ص٢٨٢

(١٠) السابق نفسه :ص٢٨٣

(١١) نفسه : ص٨

(١٢) نفسه : ص٣٨

(١٣) نفسه: ص٢٨٣

(١٤) نفسه : ص٢١

(١٥) راجع : حميد لحمداني : بنية النص السردي ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩١م ـ ص٦٠

(١٦) إبراهيم عبدالمجيد : السابق ـ ص١١٥

(١٧) السابق : ص٦

(١٨) سعيد يقطين : قال الراوي ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء بيروت ـ ط١ ١٩٩٧م ـ ص٢٤٦

(١٩) إبراهيم عبد المجيد : السابق ـ ص٨٧

(٢٠) السابق : ص٨٤

(٢١) نفسه : ص٥٨

(٢٢) نفسه : ص٩٣

(٢٣)نفسه: ص٨٦
(٢٤)أماني فؤاد : الرواية وتحرير المجتمع ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ ط١ ـ ٢٠١٤م ـ ص١٦٨
(٢٥) إبراهيم عبد المجيد : السابق ـ ص٢١
(٢٦) السابق : ص٥٥
(٢٧) نفسه : ص٥١
(٢٨) نفسه: ص٢٨٢
(٢٩) نفسه: ص٣٨٠
(٣٠) إبراهيم أحمد ملحم : مدخل إلى النقد التفاعلي ـ عالم الكتب الحديث ـ الأردن ـ ط١ـ ٢٠١٣م ـ ص١٣
(٣١) إبراهيم عبدالمجيد: السابق ـ ص٣٠٤
(٣٢)السابق : ص٨٦
(٣٣) نفسه : ص١٢٠
(٣٤) نفسه : ص٢٣٥
(٣٥) نفسه : ص٣٣٢
(٣٦) نفسه : ص٣٤٧
(٣٧) نفسه : ص٢٣٦
(٣٨) نفسه : ص٢٣٨
(٣٩) نفسه : ص٢٤٧
(٤٠) صلاح فضل : اشكال التخيل(من فتات الأدب والنقد)ـ لونجمان ـ ط١ ـ ١٩٩٦ ـ ص١٢٦
(٤١) إبراهيم عبد المجيد: السابق : ص٢٣٨
(٤٢) السابق : ص٣٤٥
(٤٣) نفسه : ص٢٦٢
(٤٤) أماني فؤاد :الرواية وتحرير المجتمع ـ ص١٤١
(٤٥) إبراهيم عبدالمجيد : السابق ـ ص٣٨٤
(٤٦) السابق : ص٩٧

Doi: 10.12816/mdad.2020.105853